

أهمية الحفاظ على التراث الثقافي غير المادي في الموصل

د. علي احمد محمد العبيدي *

تاريخ قبول النشر

٢٠١٨/٥/٢٧

تاريخ استلام البحث

٢٠١٨/٤/٣

ملخص البحث:-

يكتسب التراث الثقافي غير المادي أهمية بالغة في المحافظة على الهوية الوطنية وصيانتها وإحيائها. ويتجلى ذلك بمنحه مزيداً من الاهتمام وبمختلف أشكاله، لاسيما الألسن بوصفها حاملةً للتراث الثقافي غير المادي الذي تتناقله الأجيال بصفة متواترة وبذلك يشكل شهادة على الهوية الجماعية.

Taking care off in tangible heritage in Mosul

Asst. Prof. Dr. Ali A. M. Alubaidi

Abstract

Cultural heritage is a great and very important in preserving and minting national identity .This is reflect of fact it gives more attention to the various forms, especially languages, as a carrier of the intangible cultural heritage, which is frequently passed on by generations and constitutes a witness to collective identity.

المقدمة:

(في التراث الثقافي غير المادي)

يعد التراث الثقافي غير المادي جزءاً مهماً من تاريخ الشعوب وثقافتها، فهو الوعاء الذي تستمد منه عقيدتها وتقاليدها وقيمها ولغتها وأفكارها وممارساتها وأسلوب حياتها الذي يعبر عن ثقافتها وهويتها الوطنية، كما يعد جسر التواصل بين الأجيال، وإحدى الركائز الأساسية في عملية التنمية والتطوير والبناء، وهو المكون الأساس في صياغة الشخصية وبلورة الهوية الوطنية لكل شعب من الشعوب*.

وإننا إذ نعيش اليوم تحديات متنامية في سبيل الحفاظ على هويتنا الوطنية في ظل تركيبة سكانية معقدة وواقع يفرض علينا مجاراة التطور الحضاري والتغيرات الاجتماعية المتلاحقة، فلا سبيل لنا نحو الحفاظ على هذه الهوية الوطنية في ظل هذه التحديات، سوى العمل بجد للحفاظ على موروثنا الثقافي وترسيخه في نفوس أبنائنا ليصبح جزءاً من واقع حياتهم اليومية.

* استاذ مساعد، رئيس قسم الدراسات الادبية والتوثيق، مركز دراسات الموصل، جامعة الموصل.

أهمية الحفاظ على التراث الثقافي غير المادي في الموصل

ويُعرّف التراث الثقافي غير المادي بحسب اتفاقية اليونسكو سنة ٢٠٠٣ في باريس التي عُرفت بـ (اتفاقية صون التراث الثقافي اللامادي) بأنه مجموعة: "الممارسات، والتصورات، وأشكال التعبير، والمعارف، والمهارات وما يرتبط بها من آلات، وقطع ومصنوعات وأماكن ثقافية، التي تعدها الجماعات والمجموعات، وأحياناً الأفراد، جزءاً من تراثهم الثقافي.

وهذا التراث الثقافي غير المادي ينتقل من جيل إلى جيل، ويتحقق بعثه من جديد من قبل الجماعات، والمجموعات طبقاً لبيئتهم، وتفاعلهم مع الطبيعة ومع تاريخهم، وهو يعطيهم الشعور بالهوية والاستمرارية، بما يسهم في تطوير احترام التنوع الثقافي، والإبداع الإنساني^(١). وبذلك ينسحب مفهوم التراث الثقافي غير المادي بشكل كبير على التقاليد المعيشية، والتعبيرات الثقافية للمجموعات، والأفراد، والعمليات الإبداعية، والمعرفية، والقيم التي تُمكن من إنتاج هذه التعبيرات الثقافية، وطبيعة العلاقة بين المنتجين والمتلقين لهذه التعبيرات، وتسم هذه المصادر التراثية الثقافية خصوصية كل شعب، وتؤدي البيئة الاجتماعية والطبيعية دوراً في تكوينها، إذ تعدّ من العوامل الأساسية في تميّز أفراد هذا المجتمع عن غيره.

يكتسب التراث الثقافي أهميته البالغة في محافظته على الهوية الوطنية وصيانتها وإحيائها. ويتجلى ذلك بخاصة في مزيد من الاهتمام بالمخزون الحضاري بمختلف أشكاله ومن ضمنها تكثيف العناية بالموروث الشفاهي ومنها الألسن بوصفها حاضنة للتراث الثقافي غير المادي الذي تنتقله الأجيال بصفة متواترة ويشكل شهادة على الهوية الجماعية. كما يمثل التراث الثقافي غير المادي الذاكرة العريقة لمعارف الجماعة وصنائعهم ومعتقداتهم وحقق معارفهم التقليدية ومختلف تعابيرهم عن حياتهم اليومية.

فحين ندرك الروابط الحميمة بين التراث المادي وغير المادي، سيؤكد لنا أن الفصل بينهما صعب، فالآلات الموسيقية التراثية مثلاً توجد في نقطة تقاطع بين نوعين من التراث، فهي تراث مادي بالنظر إلى كونها ملموسة ومصنوعة من مواد محددة، وهي أيضاً تراث غير مادي نظراً لخبرات صانعيها ومهاراته. وعليه يحق لنا تصنيف التراث الثقافي: بأنه تشكيلة من القيم المادية واللامادية التي تستوعب الموضوعات والتقنيات، والخبرات، والمعارف، والمعتقدات والعادات، التي خلفها لنا أسلافنا بالتلقين والسماع لنقلها إلى الأجيال التالية، وهذه العناصر والمكونات كلها، تتقاسم خاصية محددة، وهي كونها موارد غير قابلة للتجدد، فكل عنصر أو مظهر يهمل سيضيع إلى الأبد، فمن هنا وجب الحفاظ على التراث الثقافي وتثمينه^(٢).

ولا يختلف اثنان في أصالة التراث الثقافي غير المادي وعراقته، واللافت للانتباه أن هذا الإرث لم يحظ بالعناية اللازمة، فكم من الحكايات والأساطير والأغاني والأشعار الشعبية وغيرها من التعبيرات قد اندثرت بموت أصحابها؟! وهي خسارة جسيمة ناتجة أساساً عن قلة وعي بأهمية هذا المكوّن الثقافي والحضاري لهويتنا، وعن الاحتقار الذي ينظر به بعضهم لهذا

الارث بوصفه من نتاج العامة أو المهمشين لذلك فهو مادة بسيطة لا ترتقي إلى مستوى إبداع النخبة؟!

ومما لاشك فيه أن هذا التقييم يأتي جانباً للحقيقة وللأمانة العلمية إذ ينم عن قصور ذهني وافتقار الى الإحساس بالمسؤولية عن قصد أو دونه، فإذا كانت البشرية قد حققت منذ الثورة الصناعية وصولاً الى الثورة الرقمية مكاسب عديدة بإفادتها من الابتكارات التكنولوجية، بدرجات متفاوتة تختلف باختلاف ذائقة الشعوب مما ساعدها على الارتقاء بمستويات معيشتها لكنّ هذا التحول قد ترك أثراً سلبية أتت على حساب الهوية والخصائص الثقافية المميزة لكل مجموعة بشرية ولاسيما تلك التي تفتقر الى التقدم العلمي والتكنولوجي وتعاني من صعوبات اجتماعية واقتصادية كأغلب البلاد العربية.

وتبرز أهمية التراث الثقافي غير المادي لدواع ثقافية وحضارية واقتصادية واجتماعية وأخرى وطنية وأمور تتعلق بمخاطر العولمة وتحدياتها وكذلك لأمر تربوية وتعليمية، ذلك أنه بوساطته يتم التركيز على الدور الحضاري للشعوب والمحافظة على مكوناتها الثقافية غير المادية، الشعبية الفولكلورية والشفاهية من الاندثار، وبخاصة أن هذا الحفاظ إنما يحقق التواصل المعرفي والوجداني بين الأفراد والجماعات ويطور إحساسهم بالمسؤولية المشتركة إزاء حضارة بلدانهم وإغناء تنوعهم الثقافي، وكل ما يجعلهم يسعون لصون تراثهم غير المادي وإدارته ورصده وحصره بغية الإسهام في التنمية المستدامة، ومن أجل زرع قيم جديدة للأطفال واليافعين بكل ما يساعد في إدراك الجذور والهوية الثقافية الاجتماعية^(٣).

إن أهمية المحافظة على التراث الثقافي غير المادي تمثل صمام أمان لتثبيت الهوية الوطنية والقومية، فهو إبداع مخصوص مميز تصوغه عبقرية الفكر الإنساني ويثريه الخيال الشعبي في ارتباط وثيق بالتاريخ والجغرافيا، لذلك فإن الحاجة ملحة للتعامل مع تراثنا تعاملًا عقلانياً جاداً وليس عاطفياً أو متحفاً عبر جمعه وتصنيفه وتوظيفه في الحياة اليومية وإدراجه في الدورة الاقتصادية بوصفه رافداً من روافد السياحة الثقافية والاستهلاك من خصوصياته في المجال الفني والإبداعي، بل لكي يظل موروثنا مكوناً أساسياً من مكونات هويتنا نحنم به في خضم التيارات الجارفة الوافدة من كل اتجاه في ظل عولمة تسعى الى اكتساح المجتمعات وتنميطها والهيمنة عليها.

التمهيد: كيفية صون التراث الثقافي غير المادي.

ويقصد بعبارة (الصون): تلك التدابير الرامية إلى ضمان استدامة التراث الثقافي غير المادي، وذلك بتحديد هذا التراث وتوثيقه وإجراء البحوث فيه والمحافظة عليه وحمايته وتعزيزه وإيرازه ونقله، لا سيما عن طريق التعليم النظامي وغير النظامي، وإحياء مختلف جوانب هذا الموروث، وإن ما يميزه هي الحيوية التي تجعله قادراً على الاستمرار والحياة ككائن حي يتكيف

أهمية الحفاظ على التراث الثقافي غير المادي في الموصل

باستمرار مع تطور المجتمعات والبيئة والمحيط ليمضي في وجوده على الرغم من هشاشته وعدم الإهتمام به^(٤).

إنّ التراث الثقافي غير المادي هشّ وسريع الاندثار وعمره رهين أعمار حملته إن لم يجد الوسيلة المثلى لتوثيقه وتميره الى الألاحق من الأجيال، وتتطلب إجراءات صونه كثيراً من المتابعة والجهد، ومنهجية واضحة قوامها تحديد الأولويات وتأطير وضبط الأعمال والأنشطة ذات العلاقة قانونياً وإدارياً ومالياً وتقنياً، لضمان أوفر فرص النجاح لتوثيقه وصيانتته^(٥)، وهذا ما يصعب تحقيقه في ظلّ التعاطي معه من خلال قرارات سطحية لا تمس تعقيدات الواقع، ولذا يجدر بنا أن نتساءل كم فقد بلدنا ذاكرة تختزن رصيماً هائلاً من ذلك الموروث خلال عشر السنوات الماضية؟ - أي بعد مصادقة العراق على اتفاقية اليونسكو - وكم من مهارة وحرفة في طريقها إلى الزوال؟ أو الذي هو بصدد التلاشي من موروثنا الشفوي؟

- أقسام التراث الثقافي:

يمكن تقسيم التراث الثقافي على قسمين هما:

١- التراث الثقافي الذي يعني العادات والتقاليد والمعتقدات والأعراف واللهجات والأدب الشعبي بأصنافه جميعاً.

٢- الفنون الشعبية وهي الحرف الشعبية وما تشتمل عليه من أدوات الزراعة والدباغة وصناعة الجلود والحديد والخشب والنسيج وصناعة الفخار والملبوسات... وغيرها.

المبحث الأول: التراث الثقافي غير المادي في مدينة الموصل.

إنّ التراث الثقافي غير المادي أمانة مجتمعية، على المجتمع الموصل بكل أطرافه المحافظة عليه بعد جمعه وتوثيقه وتصنيفه، ليبقى ذخيرة حية للأجيال القادمة، وهذا الاهتمام، وهذه الرعاية لا يأتيان دون الوعي بأهمية التراث سواء كان لا مادياً أم مادياً، فالتراث دليل الهوية والهوية هي التي تحفظ لنا مكانة في العالم، وهي التي تقدم بالصوت والصورة والكلمة ثقافتنا الى هذا العالم^(٦). ومن هنا تأتي أهمية الحفاظ على موروثنا الثقافي في مدينة الموصل بشقيه (المادي وغير المادي) لأنه مدخل مناسب لدراسة الماضي وفهم الحاضر واستشراف المستقبل.

نظراً للدور الايجابي الذي يضطلع به التراث الشفاهي في الحفاظ على الذاكرة الثقافية الجماعية فقد اضطلع مركز دراسات الموصل في جامعة الموصل آخذاً على عاتقه الدور الريادي في إقامة الندوات التي تتمحور بمعارفنا الشعبية، وقام بطباعة الكتب لبعض المهتمين بهذا الشأن، وقام عدد من الباحثين في المركز بكتابة البحوث المتعلقة بجمع ودراسة أهم الموضوعات الخاصة بالتراث الثقافي غير المادي لمدينة الموصل، ومنها (الحكاية الشعبية، والألعاب الشعبية، والمهن الشعبية، والأغاني الشعبية، والأمثال الشعبية، وأغاني هدهدة الأطفال،

والأغاز الشعبية، والمعتقدات الشعبية،.....الخ) من الأبحاث التي عالجت التراث الثقافي غير المادي.

ويمكن دراسة التراث الشعبي بوصفه مجالاً معرفياً متعدد الأبعاد، ويتشكل من شقين: الشق الشفهي (غير المادي) ويتكون من: **الفنون القولية**، أو **الأدب الشعبي** وتشتمل على (الشعر الشعبي، والحكاية الشعبية، والمثل، واللغز، والنادرة، والأحجية، والسير، والمدائح، والموسيقى وأغاني العمل، والأعياد والمناسبات الاجتماعية، والرقص والحركات التعبيرية، والطقوس والمعتقدات، والسحر، والتعاويذ، والجان، والرموز الرقمية، والألوان، ودلالات الجسم الإنساني، والعادات والتقاليد (المتعلقة بدورة الحياة: الولادة، والزواج، والوفاة)، والمعارف (كالمطب الشعبي)، والتصورات بشأن (الجمادات، والنباتات، والحيوانات). وهذا الشق من التراث لا يقل أهمية عن التراث الثقافي والطبيعي، فهو يُخلد ذاكرة المدينة وهويتها، لأنه يرتبط بالمأثورات الشعبية والمعارف، والممارسات المتعلقة بالطبيعة والكون، وكذلك المهارات المرتبطة بالفنون والحرف التقليدية وفنون الأداء. وبهذا فإن مصطلح (التراث الثقافي) لا يقتصر على المعالم التاريخية الأثرية والتحف الفنية فحسب، وإنما يشمل المأثورات الشفوية، والممارسات الاجتماعية، والمعارف والمهارات الحرفية التقليدية، فضلاً عن الأكلات الشعبية، والوصفات التي تعود إلى عصور قديمة.

والتراث غير المادي، شأن الثقافة، يتغير ويتطور ويزداد ثراءً جيلاً بعد جيل، ولكن في ظل الحداثة والعولمة فإن كثيراً من أشكال التعبير ومظاهر التراث الثقافي غير المادي باتت مهددة بالاندثار، وبذلك أصبحنا بحاجة لاتخاذ تدابير من أجل أن يظل هذا التراث جزءاً لا يتجزأ من الثقافة الشعبية والهوية الوطنية، فنحن بحاجة لمحاولات جادة لإحياء وتطوير التراث ليصبح في متناول الجيل الجديد، ويغدو منبعاً ثرياً يسهم في تحقيق الثقافة^(٧). إبقاء للقيم الروحية والاجتماعية الرابطة بين أفراد المجتمع المحلي.

أما **الشق الفعلي (المادي)** فيتكون من: الاحتفالات والأعياد والمناسبات الزواج والولادة والرقص والألعاب والزيارات والأزياء وأثاث البيت وزينته والمنتجات المادية المحسوسة كالتياب المطرزة والحلي وأدوات الموسيقى، والطبخ، والحصاد، والأبنية والمساكن، والحرف الشعبية؛ ومجمل متطلبات الحياة الشعبية بشقيها الروحي والمادي التي تصور لنا مدى ارتباطها بحياة الشعب ارتباطاً وثيقاً، وبطقوسه وعاداته وتقاليد، وعلى صفحته تتعكس خصائص مختلف المراحل التاريخية؛ لذلك نشاهد علوماً أخرى ينصب اهتمامها عليه، مثل علم اللغة والأدب والأجناس والتاريخ والفلك... الخ. ويتناول كل علم من هذه العلوم دراسة التراث الشعبي من وجهة نظره، فعلم اللغة يتناول الكلمة في التراث، وتاريخ اللغة التي تتراءى فيه، وعلاقتها باللغات الأخرى... وهكذا.

أهمية الحفاظ على التراث الثقافي غير المادي في الموصل

أما الأدب فيدرس السمات العامة للتراث الشعبي والفرق بينه وبين الأدب الرسمي، وعلم الموسيقى يدرس العناصر الموسيقية والمسرحية فيه (التراث)، وعلم الأجناس يتعرض لدور التراث وأثره في حياة الشعوب وارتباطه بالطقوس والتقاليد، ويبحث علم التاريخ في الوعي الشعبي لتفهم الأحداث التاريخية التي يعكسها بصفته ذاكرة وهوية للأجيال، إن الثقافة المادية وغير المادية هما وجهان لعملة واحدة هي ثقافة المجتمع؛ إذ لا يمكن الفصل بينهما لأن كل منهما يؤثر في الآخر ويتأثر به ويجب أن يكون هناك انسجام تام بين شقي الثقافة هذين، وذلك من أجل ثبات ثقافة المجتمع ورسوخها ودوامها.

يمكن للتراث الثقافي غير المادي أن يجمع ويوثق شأنه شأن المعالم التاريخية والأعمال الفنية. وتتمثل الخطوة الأولى في صون التراث الثقافي غير المادي بتحديد أشكال التعبير والمظاهر التي يمكن وصفها تراثاً ثقافياً غير مادي ثم تسجل أو تدرج في قوائم الحصر. لتصبح قوائم الحصر هذه أساساً لوضع تدابير حفظ مظاهر التراث الثقافي غير المادي المدرج والموصوف في هذه القوائم وأشكال تعبيره. وينبغي أن يشارك المجتمع المحلي في تحديد التراث الثقافي غير المادي وتحديده، فهو الذي يقرر أي الممارسات تشكل جزءاً من تراثه الثقافي^(٨).

والتراث الثقافي لا يمكن أن يعني الماضي فحسب، بل هو حلقة الوصل بين الماضي والحاضر والمستقبل، وذلك من خلال الأجيال التي تنتقله، وإذا كانت الهوية من سمات حضارية وثقافية هي القاسم المشترك بين أبناء الشعب الواحد، والتي تميزه عن غيره من الشعوب، فإن التراث الشعبي هو العمود الفقري لهذه الهوية، وبوساطته- لاسيما مع ازدياد قيمته وتحسين كيفية التعامل معه- يستطيع المجتمع أن يصنع لنفسه مكانة محترمة في الحضارة الإنسانية عامة^(٩).

المبحث الثاني (ثقافة المجتمع الموصلية):

يتميز الإنسان عن غيره من الكائنات الأخرى بأن له بناء معيارياً يعكس القيم لكل ما تحتويه من معايير وقواعد سلوكية، ولكل مجتمع إنساني ثقافة معينة تحدد رؤيته لما يحيط به من أطر مادية ومعنوية. ومع أن لكل مجتمع ثقافة خاصة به ينفرد بها عن غيره من الشعوب إلا أن هناك تشابهاً بين المجتمعات في بعض العناصر الثقافية.

تزرخ مدينة الموصل بكثير من أوجه التراث الثقافي غير المادي، يتمثل بكل ما هو شفاهي ومتناقل من جيل لآخر، ويعد التراث الثقافي غير المادي جزءاً مهماً من الذاكرة الشعبية الموصلية على المستويين الوطني والإنساني، فينبغي على المعنيين في مدينة الموصل الاهتمام به وتوثيقه وحمايته من الضياع والنسيان، لاسيما أنه تراث روحي أو وجداني، يؤدي إهماله أو التهاون في حفظه إلى جعله ذرات تنتثرها ريح الزمن، حتى تختفي، وبذلك يُنسى تدريجياً، وقد يجيء زمن لا يذكر عنه شيئاً وكأنه لم يكن، وهو بذلك يفقد خصوصيته وهويته التراثية لانتفاء صفة الاستمرار عنه، لنطلق عليه تسمية التراث.

والمجتمع الموصل كغيره من المجتمعات، يتعدد تراثه الثقافي ويتنوع، وهو بمثابة الوجه الحي للفنون في العمران والصناعات التقليدية والشعر والطبخ واللباس التقليدي والغناء والرقصات الشعبية ويعود تراثه الى الجذور والتاريخ والحضارة الاولى بالمنطقة.

ويتمثل التراث الثقافي غير المادي في الموصل بـ :

- العادات والتقاليد:

ترتكز العادات والتقاليد على الموروث الثقافي الشعبي الذي ينبع من أصالة المجتمع وتمتد قيمته الإنسانية حتى أعماقه ويقتبس منها ذلك المجتمع المقومات السامية للأسس المكونة لهويته الدينية بصفة عامة والعربية بصفة خاصة. وقد تميّزت مدينة الموصل بعاداتها وتقاليدها العربية الأصيلة الملتزمة بالأخلاق والقيم الدينية، سواء في عادات الخطوبة أو الزواج أو المآتم والموالد والأعياد والمناسبات الأخرى.

الأعياد: تمثل الأعياد في حياة الشعوب فرصة للاحتفال، وإدخال السرور إلى النفوس التي أعيتها تعقيدات الحياة ومشكلاتها فهي مناسبة للخروج من كدر المعيش اليومي بأسلوبه المعهود وإطلاق العنان لأشكال احتفالية متنوعة، ولكل مدينة أيام للترويح والترفيه في أوقات خاصة من حياتهم ولمدينة الموصل أيامها وأعيادها، فضلا عن عيد الفطر وعيد الأضحى فقد كان لأهل الموصل مناسبات أخرى للاحتفال والفرح منها:

- أيام الربيع: الذي يبدأ مع بداية الربيع في الشهر الثالث من السنة، إذ يحتفل الناس بالخروج الى الأماكن الواسعة(الجول) التي تتواجد فيها الخضرة والمياه مبتهجين بقدوم الربيع واعتدال المناخ، وقد كان يُقام في الموصل مهرجان سنوي يسمى(مهرجان الربيع).
- يوم رجب: ويوافق هذا اليوم ليلة السابع والعشرين من رجب ذكرى الإسراء والمعراج.
- يوم الشعبانية: في منتصف شهر شعبان، حيث يحتفل الناس به ويصومون نهاره مستبشرين بقرب قدوم شهر رمضان.
- يوم المولد النبوي الشريف: وتقام حفلات الذكر والمدح في المساجد ويطلق عليها(المولدية) ويحتفل الناس بهذه المناسبة كل على طريقته الخاصة وتوزع الهدايا والأطعمة والحلويات على المارة في شوارع الموصل.
- ليلة القدر: هي ليلة القدر في السابع والعشرين من رمضان، ويقوم الناس بإحياء هذه الليلة في المساجد وتقام فيه الصلوات والأدعية حتى مطلع الفجر ويكثر فيه توزيع الصدقات.
- **مراسيم الختان:** لأهل الموصل طقوس ومراسيم خاصة يتم من خلالها الاحتفال بالختان تمييزها عن مناطق أخرى؛ يقام حفل الختان بطريقة إذ تقوم النسوة بتريديد أغان من التراث الموصلية خاصة بهذه المناسبة ومنها:

يم المطهغ دعلقي الناغه حس المطهغ شلش الداره^(١٠).

أهمية الحفاظ على التراث الثقافي غير المادي في الموصل

ثم تقدم الهدايا للطفل المختون من الحاضرين حفلة الختان (الطهوغ).

- **مراسيم الزواج:** مراسيم الزواج في الموصل مازالت تحتفظ بطقوس تراثية وعادات خاصة الى حد ما، وهناك تقاليد خاصة لأهل الأرياف والبدو. ومراسيم الزواج في الموصل عدة مراحل منها:
 - مرحلة الخطوبة وما يعقبها.
 - مرحلة القُطوغ: وهو اليوم الذي تحدد فيه النقديّة (النیشان).
 - مرحلة الحمالي (الجهاز).
 - مرحلة حفلة (النیشان).
 - مرحلة جهاز العروس والعقد .
 - ليلة الحناء .
 - حفلة الزفاف.
 - ليلة الدخلة.
 - الصبحية.
 - الأربعة أيام^(١١).
- التراث القولي:**

إن هذا النوع من الأدب متداول بشكل شفاهي عبر العصور التاريخية، متوارث جيلاً بعد جيل، ويشمل الفنون القولية مثل (الأغاني الشعبية والحكاية الشعبية، والأمثال الشعبية، والألغاز، والنكات، والنوادر، ونداءات الباعة، وغيرها من التعبيرات الشعبية الشائعة، وهو العمود الفقري في الموروث الشعبي. ولا يعود إبداعه لفرد بعينه، بل شاركت الجماهير في إبداعه عن طريق قبولها لها، وتعديلها لصورته، وتهذيبها لصياغته لتناسب ذوقها الشعبي قبل أن تتداوله، وفي أثناء تداوله، وما احتفاء الجماعة بها، إلا لأنها صادرة عن وجدانها الجمعي.

والتراث الشعبي بصورة عامة ومنه: (الأغنية الشعبية) ذات الطابع التراثي، يمثل منعطفات اجتماعية تكتنف سلوكيات الشعوب، يقرر واقعها الاقتصادي والثقافي والنفسي في آن واحد. وبما أن اللغة مادتها، فإن الشعر الشعبي يظهر حقيقة الشخصية الموصلية وهو حدث سماعي مثقل بالصراع الذي يتجسد يومياً بأسراره ومقاصده في ميدان الحياة الاجتماعية والدينية وله صدى في الروح والذاكرة، وتحمل الأغنية الشعبية الأصالة عبر التاريخ الطويل وتعبّر عن روح المجتمع الموصلي وطموحاته وتطلعاته وهي أنواع:

- **أغاني هدهدة الأطفال:** وهي أغان تغنيها الامهات لتتويم أولادهن، ذات ايقاع حزين غالباً ومنها:

دللوي دللوي يالولد يابني دللوي عدوك عليل وساكن الجول

د. علي احمد محمد العبيدي

وهدهدتوك بليل الطويل
وقفتو عل المولى دخيل
وقلو يامولى احفظلي الجنين
انيمك بالليل وانا وحدي
وانا اهدي بعد عزيزي وبعد قلبي^(١٢)
انجوم السما تسري

أغاني الألعاب الشعبية: وهي أغان يغنيها الأطفال في أثناء لعبهم، ذات ايقاعٍ موسيقي راقص. ولعل اللعب عند الأطفال من أقوى الدوافع لعملية الإبداع والخلق، فهناك أغان تبدأ فوراً بوسيلة بسيطة يُزادُ عليها مع الأيام حتى تصبح ألعاباً كاملة متوارثة، كما في اغنية لعبة:

" أم الريث "

يمُ الريث ريثينا لولا المطر ما جينا
صبونا بالطبشي صبِحْ ولدكم يمشي
صبونا بالغربال صبِح ولدكم خيال^(١٣).

- أغاني مراسم الزواج:

تشكل أغاني مراسم الزواج والأفراح تراثاً فنياً وكنزاً من الاغنيات التي تتعدد أشكالها وألوانها وطقوسها، وبحكم وظيفتها الاجتماعية والترفيهية وارتباطها بأهم المسرات في حياة الانسان، كانت لها الأهمية الكبرى من بين أشكال التعبير الشعبي الأخرى. إذ أنها لم تهمل أو تنسى أو تندثر الى حدٍ كبير حتى الآن، على الرغم من العوامل والمؤثرات والتأثيرات السلبية التي كانت لها اليد الطولى في اندثار نوعيات أخرى منها ونسيانها. وهذه الأغاني تُؤدى مشتركة في مناسبات الاحتفال بالخطبة والزواج بطقوسها وخطواتها المختلفة^(١٤). ومن بين هذه الأغاني المتوارثة الأكثر شعبية اغنية:

بلله فغشولو بصدغ الإيوانا .. مات العدو واصفغت ألوانا

فغشتولو (فلان) وهلهتلو .. بخشيش من عد أمو كن جانا

ودقومي يا ميمتو وتباهي بقامتو.. هذا (فلان) المدلل هليوم يوم زفتو

ودقومي يا خيتو وتباهي بطلعتو .. هذا (فلان) المدلل هليوم يوم دخلتو^(١٥)

- **أغاني العمل:** وهي مجموعة من الأغاني المأثورة التي تؤديها الجماعة سواء من الرجال أو الشباب، أو مجموعة من النسوة والفتيات في أثناء العمل الجماعي الذي لا يرتبط بحركة موحدةٍ منتظمة، مثل اغاني البناء وأغاني الحصاد، وغيرها من الأعمال الأخرى، الغرض منها استنهاض همّة العمال لينشطوا في عملهم، فيغني لهم أحدهم، ويرد عليه العمال والأطفال، ولعل من أكثر هذه الأغاني شعبية عند بناء الدور هي:

بيناكي ياوده بيناكي بالعزي بناكي الصبي لسمع أبو محزم الجزّي
ومنو عقد العقدي واستادي عقد العقدي
ومنو التعب بيها وهو بيها يدري^(١٦)

- أغاني الحصاد: هي نوع من الحُداء باللهجة العامية الدارجة، ولكل منطقة لهجتها الخاصة بها، وتشبه الى حد كبير الموشح الشعري من جهة ترتيب قوافيه أو الزجل العامي في تركيب أبياته، وغالباً ما تكون أغراضها في الغزل ووصف محاسن الحبيبة وهموم المحبين، وعندما يكون الغزل بالذات البشرية، فإنه يولّد حالة من اللاشعور يمكن الإفادة منها في تجاوز حالة التعب والإرهاق التي تصاحب عملية الحصاد، ونادراً ما تكون في الأغراض الأخرى، ومنها:

هلا بعدله الغويه وكرحه وخاتون وحبّج يانظيفه تطلج المجنون
ياغالي من أجلكم رأس الكلب مطعون ييو رثمات من ريجك تداويني
حسن ألف حجي من خاطرك يازين اشكد عندك نجابه وماتخون الدين
ياداده شلون شوكي بضبط هالعينين مثل بكرة عفا بنود المياميني^(١٧)

- **الحكاية الشعبية:** وهي فن القول التلقائي العريق المتداول بالفعل، المتوارث جيلاً بعد جيل والمرتبطة بالعادات والتقاليد. وتمثل العمود الفقري في الموروث الثقافي، وهي التي نطلق عليها مجازاً الأدب الشعبي^(١٨). وللحكاية الشعبية مدى تعبيرى غير اعتيادي، لأن الحكاية تشترك مع الفنون الشعبية الأخرى، في حقيقة كونها عملاً وتكويناً إبداعياً فذاً قادراً على تشكيل صورة مرئية خيالية. وتعد الحكاية الشعبية في الموصل من أهم وسائل الاستمتاع للأسرة الموصلية، ولاسيما في ليالي الشتاء الباردة والطويلة، فقد كانت الجدات يقمن بدور الراوي لهذه الحكايات قرب المواقف. وعادة ما تبدأ الحكاية الشعبية الموصلية بعبارة (كان ياما كان وعلى الله التكلان، كل من علينا ذنب يقول التوبة واستغفر الله) وهذا موطن الاختلاف في الحكاية الشعبية الموصلية، عن مثيلاتها من الحكايات الشعبية العراقية والعربية في بداياتها أو استهلالاتها، فهي تحت المتلقي منذ بدايتها التوكل على الله في بداية كل أمر من حياتنا، ومنها بالطبع - الاستهلال في القص الشعبي، تحت المتلقي على التوبة والاستغفار من كل ذنب، لتهيئة المتلقي نفسياً وذهنياً لاستقبال الحكى، وقد امتازت الخواتيم هي الأخرى عن مثيلاتها من الحكايات الشعبية المحلية والعربية، باستعانتها بألفاظ محلية يكثر تداولها في كل بيت، فقول في الخواتيم (كنا عدكم وجينا ولو كان بيتنا قغيب كان جينا لكم حمل زبيب) وفي بعض الروايات (كنا عدكم وجينا، لو بيتنا قغيب جينا لكم حمل قسب* وحمل زبيب).

وتحمل الحكاية الشعبية في مضمونها طابعاً إنسانياً ومغزى أخلاقياً، الغرض منه غرس المبادئ والمثل في النفوس؛ لأنها تحاكي الكره، والبخل، والجبن، والكسل، والاعتداء، والاستبداد، بشكل ساخر؛ لتصل إلى تطهير نفوس السامعين، والسمو بسلوكهم وتفكيرهم عموماً. وقد جمع بعض الباحثين في الموصل الحكاية الشعبية ونشرها في كتب، ومنهم الباحث احمد الصوفي في كتابه (الحكاية الشعبية في الموصل) والباحث التراثي أزهري العبيدي في كتابه (الحكاية الشعبية الموصلية) ونشر بعض منهم عدداً منها في مجلة (التراث الشعبي) العراقية، في أوقات متباعدة، كما أصبحت الحكاية الشعبية الموصلية مجالاً رحباً بتوظيفها لعدد من الأدباء في نصوصهم الأدبية.

- المثل الشعبي: تعد الأمثال الشعبية من أكثر أنواع الأدب الشعبي انتشاراً وتداولاً. فاستعمالها لا يتطلب أية مواصفات أو مهارات معينة من قبل المستعمل، ولا توجد أية ظروف نفسية ومناسبات اجتماعية يمنع معها استعمال الأمثال على العكس من ذلك فإن لكل ظرف ولكل مناسبة مجموعة من الأمثال تتناسب معها، فالذهن لا يستدعي مثلاً ما من خزائنه إلا إذا كان، من جهة، عارفاً عن طريق العادة معنى المثل الذي يصبح في حكم الدليل اللغوي ومتمثلاً للموضوع الخارجي الذي يريد أن يجعله مضرِباً للمثل. وتمتاز الأمثال الشعبية بعموميتها بقدر ما تحتفظ بخصوصيتها في اللغة واللهجة وارتباطها بالبيئة، فالمثل مشترك بالهوى والحدث والوعظ، وطبيعة علاقة الناس وما يربط بينهم من مشاعر إنسانية، إذ يعد ذلك فالمثل ناتج عن الثقافة الشعبية، ويتفق المعنى والغاية في كل أمثال العالم، وإن اختلفت كلماتها أو شخصياتها أو حتى طرائق إلقاءها ولهجات شعوبها، فالمثل يبقى ابن بيئته ولغته وحدثه^(١٩).

- مدى شيوع الأمثال الشعبية في الموصل:

نعني بمدى شيوع الأمثال عدد المرات التي يتكرر بها ذكر كل مثل من قبل أشخاص مختلفين من أفراد العينة، وقد جمعت المعلومات المستعملة في هذه الدراسة من عينة مكونة من (٢٠) شخصاً من أبناء مدينة الموصل وكانت طريقة الجمع بأن أعطيت كل شخص ورقة، وطلبت من كل واحد منهم أن يحاول كتابة أكبر عدد ممكن من الأمثال الشعبية التي يستعملها، أو يستطيع أن يتذكرها خلال مدة (١٠) دقائق، ثم قمت بجمع الأوراق بعد انتهاء العشر دقائق مباشرة. وقمت بعد ذلك بتفريغ جميع الإجابات على بطاقات مكنتني بإجراء التحليلات التي سنشرها فيما بعد.

النتائج:

كان مجموع ما ذكره أفراد العينة (١٢٦) مثلاً، وقد تراوح عدد ما ذكره الفرد من (٣) إلى (١٢) مثلاً. ولم تكن جميع الأمثال التي أدرجت مستوفية لشروط المثل الشعبي الحقيقي فقد كان بينها أمثالاً باللهجة الفصحى، أو كانت حكماً أو تشابيه شعبية، أو أقوال مأثورة، أو جاء

أهمية الحفاظ على التراث الثقافي غير المادي في الموصل

المثل مشوهاً إلى درجة أبعدته عن الصيغة الحقيقية للمثل المقصود، وقد رفضنا مثل هذه الأمثال المخطوءة واحتفظنا لكل فرد من أفراد العينة برقمين كان أحدهما مجموع ما أدرجه الشخص من أمثال والثاني مجموع ما وجد مقبولاً من تلك الأمثال. وقد حكمنا على (٩٠) مثلاً من أصل (١٢٦) بأنها صحيحة ومقبولة وبذلك كان معدل الأمثال الصحيحة التي ذكرها كل فرد من الأمثال الصحيحة من صفر إلى (٦) أمثال. وقد تكرر ذكر بعض الأمثال من قبل عدد من أفراد العينة وبعد حذف الأمثال المتكررة وجدنا أن جميع أفراد العينة ذكروا ما مجموعه (٦٠) مثلاً مختلفاً من الأمثال الشعبية الحقيقية والمذكورة بشكل صحيح، أي أن كل فرد من أفراد العينة ذكر ما معدله حوالي (٤) أمثال شعبية صحيحة لم يذكرها غيره من أفراد العينة. وبالعكس يمكننا القول أن ما معدله حوالي (٦) أمثال من الـ (١٢٦) مثلاً التي ذكرها كل فرد جرى ذكرها من قبل فرد واحد آخر على الأقل من أفراد العينة. وتراوح تكرار الأمثال المختلفة من مرة واحدة إلى ١٢ مرة .

ويظهر في القائمة الآتية جميع الأمثال التي تكرر ذكرها من قبل عشرة أفراد أو أكثر .

الترتيب من حيث كثرة التكرار	نص المثل	عدد مرات التكرار
١	أبو عادي ما يترك عادتو	٦
٢	إذا كان صديقك حلو لا تاكلو كله	٧
٣	اقعد اعوج واحكي عدل	٦
٤	إلما يبجي معاك تعال معانو	٥
٥	ايوڊينو عالشط وايجييو عطشان	٣
٦	بيت الأسكافي حيفي وبيت السقا عطشان	٤
	— كلمن يمد غجلو على قد بساطو	٣
٧	الحائط لوآ أذان	٣
	— ذيل الكلب مايتعدل	٣
	كل ضيق وبعدهو فرج	٢
٨	حميتك تحبك	١٢
	ما كل أصيبيك سوا	١٢
		١١
٩	الدم ما يصيغ ماي	١١
	ماكل ؟! شارب ؟!	١٠
١٠	راح جلدو لدباغ	١٠

ومن خلال معايشة الباحث لواقع المجتمع الموصل، لاحظ استخدام الأمثال الشعبية بكثرة من قبل فئات المجتمع جميعاً، على اختلاف مستويات أفرادها الثقافية والاجتماعية، فمنهم من يستخدم هذه الأمثال لمجرد التسلية والسخرية ومنهم من يستخدمها بقصد التوجيه والإرشاد والتذكير، وقد حملت هذه الأمثال في طياتها العديد من القيم كما اشتملت على نقائصها.

وقد تركت الأمثال السلبية آثاراً سيئة على سلوك الأفراد الذين يتعاملون معها عن غير وعي أو إدراك لمضمونها ومقصدها، ومن الملاحظ عزوف الباحثين في البيئة الموصلية عن دراسة الأمثال الشعبية، وإخضاعها لدراسة نقدية على وفق أسس ومعايير علمية واضحة، فضلاً عن وجود فئة من المثقفين الذين يقللون من شأن هذه الأمثال ويتجاهلون أثرها في حياة الناس، وينظرون إليها بوصفها شيئاً من التراث القديم ينبغي أن يسدل عليه الستار^(٢٠).

الألغاز الشعبية: تعرف الحزورة أو (الألغاز الشعبية) على أنها ذلك الكلام المبهم المتداول بين عامة الناس، يتم تناقله من جيل إلى آخر، وتكون تارة بصيغة جدية تحمل في طياتها نصائح وعبراً وحكماً مستنبطة من الحياة اليومية، وتأتي تارة في أشكال مضحكة بأسلوب تهكمي وذلك لخلق جو من الطرافة والمرح، وقد تختلف تسميتها من بلد إلى آخر، ففي العراق نطلق عليها (الحزورات) وفي مصر (الفوازير) وفي الجزيرة العربية والخليج (الحزازير) وفي بلاد المغرب العربي (الألغاز الشعبية)، وهي من العادات والتقاليد والمعارف الثقافية المكونة للتراث الثقافي غير المادي.

ولم يجد الباحث الى زمن كتابة هذه الدراسة من تصدى لجمع الألغاز الشعبية في مدينة الموصل ودراستها، وسيقوم الباحث في قابل الأيام بعملية جمع الألغاز الشعبية فيها ودراستها بإذن الله، لما لها من الأهمية في موروثنا الثقافي غير المادي.

الاستنتاجات والتوصيات:

١- الاهتمام بالتراث الثقافي غير المادي، والعمل على جرده وحصره وتصنيفه، داعين إلى ضرورة إيجاد مراكز متعددة متخصصة بجمع تراثنا الشعبي ومعرفة كيفية الحفاظ عليه. وسيشكل هذا الاهتمام اللبنة الأولى والأهم في توظيفه.

٢- تفعيل التراث الثقافي غير المادي في البرامج الثقافية والتعليمية، ودعوة وسائل الإعلام لنشره، بهدف حمايته وتوثيقه. ووضع برامج دراسية ومسابقات تعليمية خاصة بالموروث الثقافي غير المادي، في مراحل التعليم كلها من الابتدائي وصولاً الى الجامعي، يشرف على إعدادها كوادر بحثية مطلعة بعمق على هذا الموروث، تدرك أهمية تقديمه لأبنائنا ونشره بينهم وترسيخه في نفوسهم، لما له من أهمية في تهذيب النفوس وتعزيز الشعور بالانتماء.

أهمية الحفاظ على التراث الثقافي غير المادي في الموصل

٣ - يعد التراث الثقافي غير المادي في الموصل من الذاكرة الثقافية العراقية والعربية الأصيلة، والحاضنة للقيم الحضارية للأمة، وإبداعاتها الماضية المدونة في الوثائق العتيقة والمخطوطات النفيسة، فضلا عن التراث الشفهي والفنون الشعبية لما له من دور إيجابي في الحفاظ على الذاكرة الثقافية الجماعية.

٤ - إجراء دراسات الجمع والتنقيب والتوثيق والتصنيف والأرشفة والترويج لعناصر التراث اللامادي و نشر الوعي به والانتقال من الصورة المقتصرة على الجوانب المادية الملموسة كالقطع الفنية والحرف والصناعات اليدوية، إلى التركيز على جمع التراث الحي المتمثل بالتعبير وفنون الأداء والعادات والتقاليد والمعتقدات والمعارف الشعبية الأخرى.

٥ - إصدار العديد من الضوابط القانونية والإدارية المحلية والمركزية لحماية التراث الثقافي غير المادي في الموصل وصونه والترويج له في المعارض والندوات والمؤتمرات العلمية.

٦ - وضع برامج إعلانية عن روائع التراث الشفهي غير المادي للموصل وإيجاد مزية تقديرية محلية تعد إجراء أولياً مباشراً وتلقائياً للتعريف بالتراث غير المادي ودعمه. فضلاً عن إقامة مسابقات ومهرجانات للألعاب الشعبية، ومسابقات في الألغاز الشعبية، ومسابقات للشعر الشعبي وتشجيع الشباب على حفظه وتدوينه.

الهوامش :

* بخصوص التراث الثقافي والهوية الوطنية للشعوب ينظر: الفولكلور: الهوية والتاريخ، أشرف صالح، مجلة (كان) التاريخية، مجلد (٥) العدد (١٨) ٢٠١٢، ص ١٢، والبحث منشور في المكتبة الافتراضية العلمية العراقية على الموقع الإلكتروني www.ivsl.org.

(١) <http://qistas.com/legislations/jor/view> / اتفاقية حماية التراث الثقافي غير المادي منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) لسنة ٢٠٠٣ / المادة (٢).

(٢) راهنية التراث في عالمنا المعاصر ، عبد الرزاق التجاني <https://aawsat.com/home/article/781471>.

(٣) فاروق خورشيد : الموروث الشعبي، دار الشروق، بيروت، لبنان، ١٩٩٢، ط١، ١٢.

(٤) إشكالية التراث: فردريك معتوق، مجلة الموقف الأدبي السورية، العدد ٤٢٩، ٢٠٠٧، ٤٥.

(٥) <https://nawaat.org/portail> قطاع التراث بين الحاجات المؤجلة والقرارات المرتجلة: التراث الثقافي اللامادي نموذجاً: Hamad Ghodhmani.

(٦) <http://folkculturebh.org/ar/index.php?issue> / الثقافة الشعبية بين المادي واللامادي: عاطف عطية، مجلة الثقافة الشعبية (الإلكترونية) العدد (٣١).

(٧) <http://www.alhayat.com> التراث المادي والتراث المعنوي: علي عفيفي علي غازي.

(٨) <http://www.al-jazirah.com/2016/20160221/wo1.htm> التراث الثقافي غير المادي.. روح الماضي النابضة فينا/ محمد أبو الفتوح غنيم.

- (٩) <http://www.alayam.com/alayam/Variety/245687> التراث هو حلقة الوصل بين الماضي والحاضر والمستقبل/ شادية طوقان.
- (١٠) للمزيد ينظر: الختان في الموصل: عبد الباري عبد الرزاق النجم، مجلة التراث الشعبي، العدد (٤) ١٩٧٣، ضمن موسوعة الموصل التراثية، منشورات مركز دراسات الموصل، جمع وإعداد أزهري العبيدي، ٣١٣-٣٢٤ .
- (١١) للمزيد ينظر: تقاليد الزواج في الموصل: سعيد الديوه جي، مجلة التراث الشعبي، العدد (٤) ١٩٧٣، ضمن موسوعة الموصل التراثية، ٥٢٥-٥٦٠ .
- (١٢) للمزيد ينظر: أغاني للصغار في الموصل: أنور عبد العزيز، مجلة التراث الشعبي، العددان (٨-٩) ١٩٧٦، ضمن موسوعة الموصل التراثية، ٣٣٧-٣٥٠ .
- (١٣) للمزيد ينظر: ألعاب التسلية عند الأطفال: مثيري العاني، مجلة التراث الشعبي، العدد (٢-٣) ١٩٧٠، ضمن موسوعة الموصل التراثية، ١٢٩-١٤٠ .
- (١٤) مدخل الى دراسة المأثورات الشعبية الغنائية (الفلكلور الغنائي): فتحي الصنفاوي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠١، ١٠٣ .
- (١٥) للمزيد ينظر: أغاني حفلات الزواج في الموصل، سعيد الديوه جي، مجلة التراث الشعبي، العدد (٥) ١٩٧٣، ضمن موسوعة الموصل التراثية، ٥٦٢ .
- (١٦) الأغاني الشعبية الموصلية: زكي إبراهيم، الناشر أزهري العبيدي، مكتب المنصور للاستتساخ، الموصل، العراق، ١٩٩٩، ٥٢ .
- (١٧) الموروث الشعبي الغنائي لقرى جنوب الموصل (أغاني الحصاد): خلف راوي الجميلي _ محمد عجاج جرجيس، مطبعة الشعب، بغداد، ط ١، ١٩٨٦، ٢٤ .
- (١٨) الفنون الشعبية: احمد رشدي صالح، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، طبعة ١٩٦١، ٦٥ .
- (١٩) البعد التداولي في الأمثال الشعبية الموصلية: علي احمد محمد العبيدي، بحث مودع في مركز دراسات الموصل، ٢٠١٣ .
- (٢٠) المصدر نفسه .

